قيام السَّاعة

-موعظة-

لفضيلة الشيخ

ربيع بن هادي المدخلي

حفظه الله تَعَالىٰ

اعتنى بها

سالم بن محمد الجزائري

محفوظة جميع الحقوق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد:

فهٰذه فرصة طيبة مباركة في هٰذه المناسبة مع إخوة لي تربطنا بهم العقيدة الصحيحة والمنهج الصحيح نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أن ينفع بهم في بلدهم وفي غيره من بلدان الله على وجه هٰذه البسيطة، فإني سأتكلم في هـٰذا الموضوع وهو **موضوع السّاعة** وما يتعلق بها، أقول فيها ما يحضرني من الآيات ومن حديث رسول الله ﷺ، أسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أن يجعلنا وإياكم من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ قد تحدّث عن السّاعة وأهوالها وكذلك رسول الله ﷺ ليتّعظ الناس، وليخافوا الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، وليستعدّوا للقائه بالإيمان الصادق والأعمال الصالحة وبذل النفس والنفيس في سبيل الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ وفي طاعته وفي طلب مرضاته، ومن وفّقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ يُعدّ العدة لذلك اللقاء العظيم وما سيتبعه من حساب وجزاء، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ أن يجعلنا من هـٰذا الصنف الطيب.

وقد قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)﴾[النحل:٠١]، تحدّث عن قيام الساعة بهـٰذه الصيغة -صيغة الماضي- لتحقّق وقوعها من جهة، ولقربها من جهة أخرى فإن كل آت قريب.

وقال تَعَالىٰ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ(١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ(٢) لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾[الأنبياء:١-٣]، هـٰذا حال الناس أمام هـٰذا الحدث الخطير وهـٰذا الحدث العظيم، وما يتبعه من حساب وجزاء، وما

سيلاقيه الناس من أهوال في ذلك اليوم العصيب وذلك اليوم العظيم.

فلا تليق بهم الغفلة، ولا يليق بهم التلهّي، ولا يليق بهم الإعراض؛ بل عليهم الاستعداد والتأهب لهـٰذا اللقاء الرهيب.

وقال تَعَالىٰ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ(١)وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ(٢)وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ(٣)وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ(٤)﴾[القمر:٠١-٤]، والله عز وجل يتحدث عن هـٰذا اليوم، ليستعد الناس لهـٰذا اللقاء العظيم، ولينصرفوا عما هم فيه من غفلة، وليقفوا عند حدهم فلا يتبعوا أهواءهم، وإنما ينصاعوا لأمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ، ويصدّقوا رسله، ويصدقوا بوعده ويتأهبوا لذلك اللقاء؛ ولكن مع الأسف هـٰذا حال الناس في السابق واللاحق إلا من أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ له السعادة.

وإنه بمناسبة تلاوة هـٰذه الآيات أنصح نفسي وأنصح السّامعين بأن يُرجفوا أسماعهم لمثل هـٰذا الوعيد الذي ترتجف له القلوب وتضطرب له النفوس، فأوصيهم بتقوى الله ومراقبته والاستعداد لهـٰذا اللقاء بالإيمان الصادق والتوحيد الخالص واتباع رسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله وتوجيهاته، والحذر كل الحذر مما حذر منه رسول الله ﷺ، ليكون من السعداء في ذلك اليوم العظيم الذي يجب أن يستعد له كل مؤمن.

وقد حدّثنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ عن أشراط الساعة فقال: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾[محمد:١٨]، يعني علاماتها، ومن علامتها بعثة هـٰذا النبي الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فإنه قال:((بعثت أنا والساعة كهاتين))[البخاري:٤٩٣٦، مسلم:٢٩٥٠] وقرن بين السبابة والوسطى صلوات الله وسلامه عليه.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ

إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا (٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧)﴾[المعارج:١-٧]، فالله يراه قريبا، ويرى أن الموعد قد دنا، وأن الأمر عليه في غاية السهولة، فلا يجوز لمسلم أو لإنسان أن يتلكأ بالإيمان بقدرة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ والتصديق بوعده والاستعداد للقائه.

ولقد حدثنا رسول الله ﷺ عن أمور تقع بين يدي السّاعة وتعدد أشراط الساعة، وذكر منها الأشراط الكبرى والأشراط الصغرى، والمراد بالأشراط العلامات، علامات لهـٰذه الساعة وقيامها.

قال حضير بن أسيد الغفاري ﷺ كنا نتذاكر فأشرف علينا رسول الله ﷺ قال: ((**ما تذكرون؟ أو ما تذاكرون؟**)) قالوا: نذكر الساعة، قال: ((**إنه لن تقوم الساعة حتى يسبقها عشر**)) أو كما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ثم عدها، عدّ منها الدخان، وعدّ منها الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، وفي رواية: من قعر عدن تسوق الناس إلى محشرهم، وأخبر رسول الله الصادق المصدوق أن الساعة لا تقوم حتى تجيء هـٰذه الآيات وتظهر هـٰذه الآيات، منها أيضا العاشرة وهو خروج يأجوج ومأجوج.

هـٰذه عشرة أحداث من علامات الساعة، لا تقوم الساعة حتى تظهر، وهي:

الدخان ويأتي هـٰذا بين يدي الساعة فيأخذ أنفاس الناس.

والدجّال، وتحدث رسول الله ﷺ عن هـٰذا الدجال في أحاديث كثيرة، تبلغ درجة التواتر، ومنها التشهد الذي نستعيذ فيه من فتنة الدجال في كل صلاة من صلواتنا سواء منها المكتوبات أو التنفّل، ((اللهم أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا وفتنة الممات، ومن شرّ فتنة المسيح الدجال))[البخاري:٨٣٢، مسلم:٥٨٩].. حتى يكون المؤمن منه على بصيرة.

ومن أراد الله له السعادة عرف هـٰذا الدجال، وكفر به، ومن أراد له الضلال ضل بسبب ما يقدم من مخرصات وسحر وشعوذة.

وكذلك الدابة، تحدّث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عنها كما في سورة النمل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ(٨٢)﴾[النمل:٨٢].

وتحدث الله عن طلوع الشمس من مغربها، كما قال تَعَالَىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام:١٥٨]، حينئذ يغلق باب التوبة فلا يقبل من أحد إيمان إذا لم يكن قد آمن أو عمل خيرا قبل طلوع الشمس من مغربها، المراد بهـٰذا طلوع الشمس من مغربها كما بيّن ذلك رسول الله ﷺ أو يأتي بعض آيات ربك، حينئذ يغلق باب التوبة إذا لم يكن قد آمن.

كذلك تحدّث عن خروج يأجوج ومأجوج وأنهم يأتون بعد نزول عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وقتله للدجال، وأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يهلكم بدعوة عيسى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهم كما قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾[الأنبياء:٩٦]، وكما قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ((**ويل للعرب، ويل للعرب من شر قد اقترب، إنه قد فتح من .. يأجوج مثل هـٰذه**)) وحلق بإبهامه والتي تليها. عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

فهـٰذه أمور من أشراط الساعة تحدّث عنها رسول الله ﷺ وهي كائنة كما أخبرك ﷺ، وهي دليل على صدق هـٰذا الرسول الكريم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ وما تحدث عنه مما كان مما سبق عن الأمم الماضية من الأنبياء وأممهم، وتحدّث عن مصارعهم، وتحدث عن الفتن كما أخبر عنها ﷺ كالفتن التي حدثت فيما سبق؛ يعني ما حصل بين عليّ ومعاوية بأنه سيقتتل فئتان عظيمتان دعواهما

واحدة، وقوله يصلح الله بينهم ((ابني هـٰذا سيد سيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)). عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وتحدّث عن خروج نار في الحجاز، وقد خرجت فعلا قال: ((تخرج نار بالحجاز تضيء بها أعناق الإبل في بصرى)) وحصلت كما قال، كما تحدث بذلك المؤرخون ومنهم ابن كثير، وأظن ذلك في حدود القرن الخامس والسادس كما ذكر ذلك ابن كثير رحمه الله تَعَالَىٰ، في ضواحي المدينة خرجت، وآثارها لا تزال باقية في المدينة وأنا ممن شاهد هـٰذه الآثار.

وكل ما تحدث فيما سبق وكل ما تحدث عنه فيما سيأتي كذلك من علامات نبوّته، وأنه رسول الله حقا.

فعلى المؤمنين أن يصدّقوا بما أخبر به هـٰذا الرسول مما مضى ومما سيأتي وقد أثنى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وتعالى على المؤمنين الصادقين والمتقين، لأنهم يؤمنون بالغيب، وقد أثنى به تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ على المؤمنين الصادقين المتقين بأنهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُوْلَـئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)﴾[البقرة:٣-٥].

نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعلنا وإياكم ممن يؤمنون بأخبار هـٰذا الرسول، ويستعدّون للقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، في ضوء أخبار القرآن عن مستقبل البشرية من حشر ونشر وبعث وجزاء وجنة ونار وخلود في الجنة وخلود في النار للكفار ومن عذاب ومن شفاعة ومن حوض ومن آخرة.. إلى آخر الأخبار التي تحدث عنها رسول الله ﷺ، لنكون على علم وعلى بصيرة وعلى تمام الاستعداد للقاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بطاعة رسوله وبالإيمان به وبتصديق أخباره، نسأل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أن يجعل المسلمين جميعا ممن يؤمن بهـٰذا الرسول ويصدق بأخباره ويتبع أوامره.